وقائع المؤتمر العلمي البحثي الدوري الثامن للباحثين من حملة الشهادات العليا
شعبة البحوث والدراسات التربوية/ قسم الاعداد والتدريب وبالتعاون مع مركز البحوث والدراسات التربوية / وزارة التربية وجامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد والجامعة المستنصرية – كلية التربية الاساسية والمنعقد تحت شعار
((الاستدامة ودورها في تنمية القطاع التربوي))
للمدة 12/2/2025

التوسعة الفردية في ضوء آيات القرآن الكريم
(دراسة في آراء المفسرين و العلماء)

م.م نور نصر محمد العامري
وزارة التربية / المديرية العامة للتربية في محافظة بغداد / الرصافة الثانية

مستخلص البحث:
إن القرآن الكريم يقدم للانسان نظاماً كاملاً شاملاً لحياة الفرد،سواء كانت متعلقة بالعقائد و الأخلاق، او بالسلوك الفردي والمعرفي وهذا يكون بهدف التعرف على حقيقة الوجود الانساني، و الذى يؤدى بدوره الى اختلاف مسيرته و سلوكيته فى الحياة تبعا لهذا الفهم.ومن خلاله تحدد مسيرته الفردية، و الاجتماعية، و النفسية، و السياسية بشكل ينسجم مع ذلك الفهم. و يكتسب الموضوع أهميته من هذا الجانب المعرفي والمسيري، فاختارت الباحثة عنوان:(التوسعة الفردية من خلال آيات القرآن الكريم (دراسة في آراء المفسرين و العلماء) لاهمية الموضوع في حياة الانسان بشكل عام، واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي-التحليلي لتحقيق هذا الهدف.وتوصلت الباحثة الى ان التوسعة الفردية في القرآن الكريم تشمل مختلف المجالات منها التوسعه الفردية المعنوية، التوسعة الاقتصادية، التوسعة الإدارية، السياسية، الاجتماعية لتحقيق الاستخلاف الإلهي على الارض، و هناك العديد من المُصطلحات تدّلُ على التوسعة الفردية في القرآن الكريم، منها: العلم، السعي و العمل، التزكية، التعاون، و عمارة الأرض، الإدارة والخ.

الكلمات المفتاحية:التوسعة الفردية، القرآن الكريم، التوسعة الاقتصادية، التوسعة المعنوية، عمارة الارض

المقدمة

الفرد individual هو ما تدل عليه الأسماء مثل "أحمد" و"سقراط" و"أفلاطون" وأسماء الإشارة مثل "هذا" و"ذاك"، وعليه فالكائن البشري بصفاته المحددة اجتماعياً، وعقلياً وانفعالياً وإرادياً هو "فرد". وقد ورد ذكر الفرد في قوله تعالى: {ربِّ لا تَذَرْنِي فَرْدَاً وأنتَ خَيرُ الوَارِثِين} (الأنبياء 89).
فقد اهتم القرآن الكريم بإصلاح التوسعة الفردية في المجالات الحياتية المختلفة، فوضع لها المنهج الصحيح، من خلال أبطل ما كان سائداً في هذه المجالات، فاهتم بإصلاح النفسي، و السياسي، و الاجتماعي، و الاقتصادي، و سائر المجالات الأخرى التي تهم الإنسان في حياته، و التي تنفعه بعد مماته.الاعتقاد بأن الفرد هو الخلية الأساسية في المجتمع لذلك أصبح الفرد في ذاته هو أساس المعرفة و المجتمع هو مجموع الأفراد، و إن الاعتقاد بأن المعيار الذي يقود الشخص في سلوكه هو معيار منفعته الخاصة، و أنانيته و جشعه، و هو الذي يقود التوسعة تفكيراً و تطبيقاً، و أن المنفعة الخاصة سوف تؤدي إلى تحقيق مصلحة المجتمع و أن السعادة الفردية تؤدي إلى السعادة الإجمالية الاجتماعية.
و يتحقق بذلك المبدأ المعياري للمنفعة: السعادة الأعظم للفرد هي السعادة الأعظم للمجتمع. و أن مجموع الرفاهيات الجزئية تحقق الرفاهية الكلية، و أن المصلحة الخاصة هي نظام القانون الطبيعي الذي يطبق عن طريق الحرية المطلقة للفرد و عدم تدخل الدولة في الحياة الفردية.
و في هذا البحث سوف نتحدث عن الدروس والعبر من الآيات الكريمة وهي تتعدد بتعدد العلوم وبشتى الاساليب الفردية التربوية او الاخلاقية بحيث يحمل الدرس عنوانا كليا مراعياً المتدبر تقريب الاستدلال وموضع الاستفادة ثم يعكس على السلوك ويفضل تدعيم ذلك بشاهد اما من القرآن أو من

السنة كما في درس سياسي، درس اقتصادي، درس تربوي. وما سيتم اجراءه في هذا البحث ، ذكر المعنى اللغوية للتوسعة و الفرد و خصصت المباحث التالية إلى التوسعة الفردية في القرآن الكريم و هي تشير إلى التوسعة الفردية من الجانب النفسي و الروحي، و الإجتماعي، والحضاري، و العلمي و العملي و السياسي و ... من خلال تفاسير المعاصرة و الأحاديث.

المبحث الأول: المعنى اللغوي للتوسعة

التَّوْسِعَةُ، التَّوَسُّع أو الاتِّسَاعُ، من مادة (وَسِعَ):

"الوُسعُ: جِدةُ الرَّجلِ، و قدرة ذات يده، و أوسَعَ الرَّجل: إذا صارَ ذا سَعَةٍ في المال، فهو مُوسِعٌ و إنَّه لذو سَعَةٍ في عيشه، و سيرٌ وَسِعٌ و وَساعٌ، و رحمةُ الله وَسِعَت كلّ شيء.[1]

و في الصحاح: "وَسِعَهُ الشيءَ فاتَّسَعَ و استوسَعَ، أي واسعاً"[2]

و جاء في اللسان: "و السعة: نقيضُ الضِّيق، و قد وَسِعَه يَسَعهُ و يَسِعُه سَعةٌ، و شيءٌ وَسِعٌ و أَسيعٌ: واسِعٌ". قوله تعالى: { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ} (الزمر: 10).

و قال ابن فارس: "الواو و السين و العين: كلمةٌ تدلُ على خلاف الضِّيق و العُسر، يقال وَسُعَ الشَّيُ و اتَّسَعَ".[3] و يقول النووي: التوسعة بسط الشيء، ونشره، وتوسيعه، وهو ضد الضِّيق.[4]

المبحث الثاني: المعنى اللغوي للفرد

الفَرْدُ: الفَرْدُ ما كان وحده. كَثِيبٌ منفرد عن الكثبانِ غَلب عليه ذلك، و فيه الأَلف و اللام، حتى جعل ذلك اسماً له كزيد، و لم نسمع فيه الفرد، الجانِب الواحد من اللَّحْي كأَنه يتوهم مُفْرداً، و الجمع أَفراد .قال ابن سيده: و هو الذي عناه سيبويه بقوله: نحو فَرْدٍ و أَفْرادٍ ، و لم يعن الفرد الذي هو ضد الزوج لأَن ذلك لا يكاد يجمع.[5] و الفرد، هو أصل يدل على الوحدة، من ذلك الفرد وهو الوتر، أو الذي لا نظير له.[6] ومن ذلك نستدل على ان الفرد هو انسان يشكل بحد ذات كينونة مستقلة .

المبحث الثالث: قدرة الفرد على التغيير في القرآن

فكرة التوسعة من وجهة نظر القرآن الكريم تنبع من الإيمان بقدرة الإنسان على تغيير نفسه وتحسين احواله، قوله سبحانه تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } (الرعد: 11)، إن الله لا يغير ما هو حسن وما هو سيئ إلا إذا تغير الإنسان نفسه.[7]

و هي النقطة في تدبير الله لأمر الإنسان، فهو لم يخضع الإنسان للقوانين الحتمية التي تتحكم به و تصوغه بطريقةٍ جامدةٍ ثابتةٍ لا يملك معها لنفسه أية فرصةٍ للتغيير و للتبديل، بل خلقه خلقاً حيوياً يتحرك بفعل الإرادة المتحركة التي تتنوّع فيها الأفكار و المواقف، مما يجعل مصيره محكوماً لإرادته، فهو الذي يصنع تاريخه بقراره الإرادي الحر، و هو الذي يملك تغيير واقعه بتغيير الأفكار و المفاهيم و المشاعر مسؤولية نفسه من موقع هذه الحرية، كما أراد أن يدفعه إلى أن يواجه عملية التغيير في الخارج بواسطة التغيير في الداخل، فهو الذي يستطيع أن يتحكم بالظروف المحيطة به، بقدر علاقتها به، و ليس من الضروري أن تتحكم به، فالإنسان هو صانع الظروف، و ليست الظروف

---

1. الفراهيدي، العين، 203/2.
2. الجوهري، الصحاح، 1298/3.
3. ابن فارس، مقاييس اللغة، 109/6.
4. النووي، المجموع، 499/1.
5. ابن منظور، لسان العرب، 332/3.
6. الفراهيدي، العين، 24/8؛ ابن فارس، مقاييس اللغة، 500/4.
7. الطباطبائي، الميزان، 181/2.

هي التي تصنعه.[1] لقد منح الله الإنسان السلطات والتسهيلات، وجعله خليفته في الأرض، قوله تعالى: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} (البقرة: 30). بناء على هذا، عليه أن يتحرك ويتغير ويبني ولا ينتظر التصحيح من مكان آخر.

قوله سبحانه و تعالى: { إِنَّ الَّذينَ تَوَفّٰهُمُ المَلـٰئِكَةُ ظالِمى اَنفُسِهِم قالوا فيمَ كُنتُم قالوا كُنّا مُستَضعَفينَ فِى الاَرضِ قالوا اَلَم تَكُن اَرضُ اللّهِ وسِعَةً فَتُهاجِروا فيها فَاُولـٰئكَ مَاوٰهُم جَهَنَّمُ وساءَت مَصيرا}

(النساء: 97) فالقرآن الكريم يذكر كيف أنّ الملائكة لدى قبضهم لأرواح هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم، يسألونهم عن حالهم في الدنيا و أنّهم لو كانوا حقا من المسلمين، فلما ذا اشتركوا في صفوف المشركين لقتال المسلمين إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ قالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ... فيجيب هؤلاء بأنّهم تعرضوا في مواطنهم للضغط و أن ذلك أعجزهم عن تنفيذ الأمر الإلهي، لكن عذرهم هذا لم يقبل منهم. يطرح مكارم الشيرازي هنا سؤالاً: من هو المستضعف؟

لدى البحث في الآيات القرآنية و الأحاديث و الروايات يستنتج أن المستضعف هو ذلك الشخص الذي يعاني من ضعف فكري أو بدني أو اقتصادي يمنعه من التعرف على الحق و الباطل، أو أنه ذلك الذي يستطيع التعرف على العقيدة الصادقة الحقة، إلّا أنّه لمعاناته من عجز جسماني أو مالي أو قيود يفرضها عليه المحيط الذي يعيش فيه، يعجز عن أداء واجباته التي كلّف بها بصورة كاملة، كما يعجز عن القيام بالهجرة.[2] عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام أنّه قال: (و لا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة فسمعتها أذنه و وعاها قلبه) .[3] واضح للباحث من الروايات المذكورة أنّ المستضعف هو ذلك الذي يعاني من ضعف فكري و أنّ المستضعف هو ذلك الذي استضعف عمليا، و لكن الكبت الذي يعاني منه في المحيط الذي يعيش فيه لا يسمح له بالعمل بالحق الذي عرفه. لقد جعل الله الإنسان مميزاً بالعقل على سائر المخلوقات، قوله تعالى: { و لَقَد كَرَّمنا بَنى ءادَمَ} (أسراء: 70) و على ضوء ذلك، نستطيع اعتبار العامل الأساس في التغيير هو الإنسان بما يحمله من مفاهيم و أفكار حول الحياة الدائرة حوله، ذلك أن المشاريع المتنوعة التي تحكم الواقع، تبدأ كفكرةٍ ثم تتحول إلى مشروع، و هذا ما يؤكد تكريم الله للإنسان في إرجاع أمره إلى نفسه، فهو الذي يغيّر واقعه بتغيير نفسه، و هو الذي يغيّر نفسه بعمق إرادته و امتداد أفقه.

المبحث الرابع: التوسعة الفردية من الجانب الروحي

قوله تعالى: { إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (الإسراء: 9)، إنه كتاب هداية للإنسان، الهداية بمعناها العام وفي جميع المجالات، يهديه إلى الله إلى سبله إلى الرشد إلى العلم إلى الإيمان إلى الروح إلى جميع شؤون الحياة المختلفة. قوله تعالى: { وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (الأنعام: 59).

ومنها الجانب الروحي وتوجيه الفرد إليه، لأن الروح هي الوجود الحقيقي للإنسان، لا هذا البدن المادي والهيكل العام، لأن هذا الهيكل لولا ولوج الروح فيه لم يتحرك لحظة، انظر حينما تخرج الروح من البدن عند الموت هل يعود لهذه الجوارح من الحركة شيء؟ إذن الروح هي الوجود الحقيقي للإنسان، ولابد من تربيتها وتهذيبها وتوجيهها نحو الكمالات الإنسانية التي يريدها الله سبحانه وتعالى

---

[1]. فضل الله، من وحي القرآن، 28/13.
[2]. مكارم الشيرازي، الأمثل، 3، 406.
[3]. نهج البلاغة ، خطب الامام علي (علية السلام) ،ج2 ، ص129. و العروسي الحويزي، تفسير نور الثقلين، 1/ 536.

لذا كما قال الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام): (وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى، لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق) [1] أي تذليلها.

فتربية الروح باستشعار الخوف من الله، وتعويدها الوجل والخشية منه جل وعلا: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ* الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} (الأنفال: 2-3).

هؤلاء هم عباد الرحمن الذين مرت صفاتهم في الآيات المارة الذكر في أخلاقهم وتربيتهم، فهم كذلك بمجرد ما يذكر الله عندهم تراهم يخشعون وتأخذهم حالة الوجل والخشية من ذكره، ويزدادون إيماناً وتثبيتاً وعمقاً بالله سبحانه وتعالى، ويفوضون الأمر إليه، ويتوكلون عليه وينفقون من أجله، هؤلاء هم المؤمنون حقاً حيث لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم.

فدعوة القرآن إلى تزكية النفس وتربية الروح، إنما هو لأجل أن الروح هي أولاً وبالذات المسؤولة عن تصرفات الإنسان في الخير والشر، والحق والباطل، والمواقف والأحداث، لأنها هي التي تسول للإنسان القيام والإقدام على الأعمال، وبالتالي هي التي تجازى لقوله تعالى: { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ} (المدثر: 38). و كأن نفس الإنسان محبوسة حتى تؤدي وظائفها و تكاليفها، فإن أدت ما عليها فكت و أطلقت، و إلّا فهي باقية رهينة و محبوسة دائما.[2] فالكتاب الكريم يدعو الإنسان إلى التأكيد على بناء الجانب الروحي في حياته، فيأمره أن يؤدي الفرائض في وقتها، فيقول عز من قائل: { إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا} (النساء: 103)، إنّ هذه الآية تشير في الحقيقة إلى أمر إسلامي مهم، يدل على أنّ أداء الصّلاة في أوقات معينة ليس معناه أن ينسى الإنسان ذكر الله في الحالات الأخرى، فالصّلاة أمر انضباطي يحيى و يجدد روح التوجه إلى الله لدى الفرد، فيستطيع في أوقات أخرى غير وقت الصّلاة أن يحتفظ بذكر الله في ذهنه، سواء كان في ساحة القتال أو في مكان آخر.[3]

و قد فسّرت هذه الآية في روايات عديدة على أنّها تبيّن كيفية أداء الصّلاة بالنسبة للمرضى، أي أنّهم إذا استطاعوا فليؤدوا الصّلاة قياما، و إن لم يقدروا على ذلك فقعودا، و إذا عجزوا عن القعود فعلى أحد جنبيهم. و هذا التّفسير في الحقيقة نوع من التعميم و التوسع في معنى الآية، و لو أنّها لا تخص هذا المجال.[4] و يطرح مكارم الشيرازي سوالاً و يذكر بأن يقول البعض: إنّهم لا ينكرون فلسفة و اهمية الصّلاة و آثارها التربوية، و لكنهم يسألون عن ضرورة إقامتها في أوقات محددة، و يرون أن الأحسن أن يترك الناس أحرارا لكي يؤدي كل منهم الصّلاة متى ما سنحت له الفرصة أو متى ما وجد استعدادا روحيا لأداء هذه الفريضة؟ ويجيب الشيخ مكارم الشيرازي على السؤال قائلا:(إنّ التّجربة قد أثبت أنّ القضايا التربوية لو لم تخضع لشروط و قيود معينة، فإن العديد من الناس سيتجاهلون و يتركون هذه القضايا، و سيؤدي هذا التجاهل إلى أن تتزلزل أركانها، لذلك فإن القضايا التربوية يجب أن تخضع لقيود خاصّة و يخصص لأدائها أوقات محددة، و أن لا يسمح لأحد بتخطي هذه القيود أو تجاهل تلك الأوقات، خاصّة و إنّ أداء فريضة كالصّلاة و في وقت معين و بصورة جماعية يظهر

[1]. عبده، نهج البلاغة، 71؛ المجلسي، بحار الأنوار، 340/40.
[2]. مكارم الشيرازي، الأمثل، 183/19.
[3]. المراغي، تفسير المراغي، 144/5؛ مكارم الشيرازي، الأمثل، 426/3.
[4]. مكارم الشيرازي، الأمثل، 426/3.

عظمتها و هيبتها و تأثيرها القوي الذي لا يمكن لأحد نكرانه، و الصّلاة في الحقيقة من أهم العوامل في تربية الإنسان و تكوين شخصيته الإنسانية).[1]

ويدعوه إلى صيام شهر رمضان المبارك، لتقوية جانب الإرادة والتصميم، والقدرة على التحمل وصد النفس عن الرغبات والشهوات المادية، التي تنازعه في كل وقت.

وكذلك يدعو القرآن الكريم النفس الإنسانية إلى ممارسة الأعمال العبادية الأخرى كالحج وإعطاء الزكاة والخمس والجهاد وأمثال ذلك، من أجل تربية روح الإنسان على المقاومة والمجاهدة والبذل والعطاء في سبيل الله. ويؤكد القرآن من أجل هذا الشأن على تلاوة القرآن ، حين يقول (فاقرأوا ما تيسر منه) وقوله: { الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ} (آل عمران: 191)، فذكر الله سبحانه وتعالى لايبارح ألسنتهم بل وقلوبهم وعقولهم ومشاعرهم وأرواحهم، كل كيانهم معجون بذكر الله تعالى. القرآن يطلب من الإنسان المسلم أن يبني نفسه على هذا المنوال وهذا النسق، لأنه هو الإنسان المطلوب قرآنياً. وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: { الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا} (الأحزاب: 39).

فالخشية لابد أن تكون من الله وحده، لأنه وحده الذي يراقب الإنسان ويعلم ما توسوس له نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد. ولأنه سبحانه وتعالى يعلم السر وأخفى، ولا تخفى عليه خافية في السموات والأرض، وغيرها من الآيات القرآنية الكريمة التي تكشف لنا قدرة الله سبحانه وتعالى على معرفة كل خطواتنا بل أنفاسنا، {ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيب عتيد} (ق: 18) ، بل النوايا التي يعقدها الإنسان في قلبه يعلمها الله. فإذا كانت حسنة طيبة ولم يوفق لأدائها يعطيه سبحانه وتعالى أجرها وثوابها، وإن كانت والعياذ بالله سيئة فإن عملها فيحاسبه على ذلك، وإن تركها دون عمل ومجرد نية لا يؤاخذه عليها. كما ورد في أحاديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.[2]

ومن هنا فإن القرآن العظيم يُشدد على جوانب المراقبة والخوف من الله سبحانه وتعالى، وأن يكون الإنسان دائماً على حذر من الذنوب، وارتكاب المعاصي والوقوع في الجريمة، واستشعار نفسه الخوف من الله دائماً، فإنه إن كان لا يرى الله فإن الله يراه، كما قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لبعض أصحابه: (أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) .[3]

فغرض القرآن هو تنمية الإنسان روحياً بالتوجه والتضرع والخوف من الباري جل وعلا حتى تأتي نفسه يوم القيامة قريرة فرحةً مستبشرة، وبقدر ما يكون الإنسان عارفاً بالله سبحانه وتعالى تكون خشيته منه، لأنهم يعرفون الله حق معرفته لذلك فهم يخشونه حق خشيته، فإلى التربية الروحية وبناء الإنسان المؤمن الحقيقي، وهو المطلوب القرآني في عملية بناء الإنسان.

المبحث الخامس: التوسعة الفردية من الجانب العلمي والعملي و الحضاري

بناء الفرد وفق منهج القرآن، بإن أول سورة نزلت على الرسول الأكرم هي سورة العلق التي تبتدىء بقوله تعالى: { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} (العلق: 1-5). يستفاد من الآيات السابقة أنه تعالى أنعم على الإنسان بعظائم نعم مثل التعليم بالقلم وسائر ما علم والتعليم من طريق الوحي فعلى الإنسان أن يشكره على

[1]. ينظر ، مكارم الشيرازي، الأمثل، 426/3.
[2].ينظر ، الطباطبائي، الميزان، 299/6.
[3]. الريشهري ، ميزان الحكمة ، ج3 ، ص1799.

ذلك لكنه يكفر بنعمته تعالى ويطغى.[1] و أشار مكارم الشيرازي، إنّ اللّه الذي علم البشر بالقلم و كشف لهم المجاهيل، قادر على أن يعلم عبده الأمين القراءة و التلاوة. جملة الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ تحتمل معنيين:
الأوّل: أنّ اللّه علم الإنسان الكتابة، و أعطاه هذه القدرة العظيمة التي هي منبثق تاريخ البشر، و منطلق جميع العلوم و الفنون و الحضارات. و الثّاني: المقصود أنّ اللّه علم الإنسان جميع العلوم عن طريق القلم و بوسيلة الكتابة. و بإيجاز إمّا أن يكون التعليم، تعليم الكتابة، أو تعليم العلوم عن طريق الكتابة. و هو- على أي حال- تعبير عميق المعنى في تلك اللحظات الحساسة من بداية نزول الوحي.[2]
لنتأمل هذه الآية التي تشير إلى التعليم بالقلم أي تدوين المعلومات والوثائق حتى تبقى وتستفيد منها الأجيال، علم بالقلم لتبقى الكتابة للحياة وتنعش بواسطتها الأمم التي تأتي فيما بعد. وأنه علم الإنسان مالم يعلم، لأنه فقير إلى الله الغني، إنه فقير إلى العلم المطلق لأن البشر لا يعلم شيئاً، وما كان له من علم ومعرفة واطلاع فيما بعد فهو منه جلت عظمته. فكل ما علمه اليوم من علوم الطبيعة والفلك والفيزياء والرياضيات والتكنولوجيا وما شابه فإنها نفحات إلهية إلى البشر، حتى يستفيد من ثروات الطبيعة وخيراتها بالشكل الأكمل والأتم، ويستفيد منها في مجال الخير والسعادة، لا في مجال الشر والشقاوة، يضع كل هذه الخدمات في سبيل الإنسان، فالقرآن يدعو إلى البناء الحضاري على أحسن وجه، كما في جملة من الآيات القرآنية والتي سنشير إلى بعضها خلال البحث.
و هذه الآية الكريمة، بداية نزول الوحي مقرون ببداية حركة علمية المهمّ في الأمر أنّ هذه الآيات نزلت على نبيّ امي و في بيئة اجتماعية تسودها الامية و الجهل لتتحدث أوّل ما تتحدث عن العلم و عن القلم مباشرة بعد ذكر نعمة الخلق. هذه الآيات تتحدث في الواقع أوّلا عن تكامل "جسم" الإنسان من موجود تافه هو "العلقة"، ثمّ عن تكامل "روحه" بواسطة التعليم و التعلّم خاصّة عن طريق القلم.
أمّا اليوم فإنّنا نعلم أنّ القلم محور كل الحضارات و العلوم، و كلّ تقدم في أي مجال من المجالات، و نعلم تفوق أهمية "مداد العلماء" على "دماء الشهداء"، لأنّ هذا المداد هو الذي يكون الأساس القويم لدماء الشهداء و السند المتين له. و لا نكون مغالين إذا قلنا أنّ مصير المجتمعات البشرية مرتبط بما تفرزه الأقلام. إصلاح المجتمعات البشرية يبدأ من الأقلام الملتزمة المؤمنة، و فساد المجتمعات أيضا ينطلق من الأقلام المسمومة.[3]

المطلب الأول: دعوة الفرد في توسعة العلم وتنشيط الحركة العلمية

العلم وعدمه مطلقان لكن المراد بهما بحسب ما ينطبق على مورد الآية العلم بالله وعدمه فإن ذلك هو الذي يكمل به الإنسان وينتفع بحقيقة معنى الكلمة ويتضرر بعدمه ، وغيره من العلم كالمال ينتفع به في الحياة الدنيا ويفنى بفنائها.[4] ومن أوضح الدعوات في القرآن دعوته إلى العلم وتنشيط الحركة العلمية فيقول تعالى: { هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} (الزمر: 9).
فالعلم الحق هو المعرفة. هو إدراك الحق. هو تفتح البصيرة. هو الاتصال بالحقائق الثابتة في هذا الوجود. وليس العلم هو المعلومات المفردة المنقطعة التي تزحم الذهن، ولا تؤدي إلى حقائق الكون الكبرى، ولا تمتد وراء الظاهر المحسوس. وهذا هو الطريق إلى العلم الحقيقي والمعرفة المستنيرة.. هذا هو.. القنوت لله. وحساسية القلب، واستشعار الحذر من الآخرة، والتطلع إلى رحمة الله وفضله

[1]. الطباطبائي، الميزان، 20/ 325.
[2]. مكارم الشيرازي، الأمثل، 322/20.
[3]. مكارم الشيرازي، الأمثل، 323/20.
[4]. الطباطبائي، الميزان، 243/17.

ومراقبة الله هذه المراقبة الواجفة الخاشعة.. هذا هو الطريق، ومن ثم يدرك اللب ويعرف، وينتفع بما يرى وما يسمع وما يجرب وينتهي إلى الحقائق الكبرى الثابتة من وراء المشاهدات والتجارب الصغيرة. فأما الذين يقفون عند حدود التجارب المفردة، والمشاهدات الظاهرة، فهم جامعو معلومات وليسوا بالعلماء.[1] قوله تعالى: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} (البقرة: 269). والحكمة العلم النافع الذي يكون له الأثر في النفس، فيوجه الإرادة إلى العمل بما تهوى مما يوصل إلى السعادة في الدنيا والآخرة.[2]

والجملة تدل على ان البيان الذي بين الله به حال الانفاق بجمع علله وأسبابه وما يستتبعه من الاثر الصالح في حقيقة حياة الانسان هو من الحكمة ، فالحكمة هي القضايا الحقة المطابقة للواقع من حيث اشتمالها بنحو على سعادة الانسان كالمعارف الحقة الالهية في المبدأ والمعاد ، والمعارف التي تشرح حقائق العالم الطبيعي من جهة مساسها بسعادة الانسان كالحقائق الفطرية التي هي أساس التشريعات الدينية ومنها تنبثق التوسع في العلم والمعرفه وتنشط الحركة العلمية بكل صورها .[3]

إنه تعالى يعطى الحكمة والعلم النافع المصرّف للإرادة لمن يشاء من عباده، فيميز به الحقائق من الأوهام، ويسهل عليه التفرقة بين الوسواس والإلهام وآلة الحكمة العقل المستقل بالحكم في إدراك الأشياء بأدلتها، وفهم الأمور على حقيقتها - ومن أوتى ذلك عرف الفرق بين وعد الرّحمن ووعد الشيطان، وعضّ على الأول بالنواجذ وطرح الثاني وراءه ظهريا.[4]

هذه العلم ، يؤتيها الله من يشاء من عباده، فهي معقودة بمشيئة الله سبحانه. هذه هي القاعدة الأساسية في التصور الإسلامي: رد كل شيء إلى المشيئة المطلقة المختارة، وفي الوقت ذاته يقرر القرآن حقيقة أخرى، أن من أراد العلم وسعى الى توسعه الحركة العلمي وجاهد فيها فإن الله لا يحرمه منها.[5]

المطلب الثاني: التوسعة الفردية في العمل والسعي والكدح من أجل البناء

قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ} (الإنشقاق: 6). قال الراغب : الكدح السعي والعناء. انتهى. ففيه معنى السير، وقيل: الكدح جهد النفس في العمل حتى يؤثر فيها انتهى. وعلى هذا فهو مضمن معنى السير بدليل تعديه بإلى ففي الكدح معنى السير على أي حال.[6]

أي أيها الإنسان، إنك عامل فى هذه الحياة ومجدّ فى عملك، ومبالغ فى إدراك الغاية إلى أن تنتهى حياتك، وإن كنت لا تشعر بجدك، أو تشعر به وتلهو عنه، وكل خطوة فى عملك فهى فى الحقيقة خطوة إلى أجلك، وهناك لقاء الله، فالموت يكشف عن الروح غطاء الغفلة ويجلو لها وجه الحق، فتعرف من الله ما كانت تنكره، ويوم البعث يرتفع الالتباس.[7] إنّ السعي و الكدح في صراع الحياة يضفي على حركة الإنسان الحيوية و النشاط، و هو بقدر ما يعتبر وسيلة سليمة و مشروعة لتشغيل العقول و تحريك الأبدان، فإنه يطرد الكسل و يمنع العجز و يحيى القلب للتحرك و التفاعل مع الآخرين . و إذا ما جعلت الأرزاق تحت اختيار الإنسان بما يرغب هو لا حسب التقدير الرباني.[8]

---

1. سيد قطب، في ظلال القرآن، 3042/5.
2. المراغي، تفسير المراغي، 40/3.
3. مكارم الشيرازي، الأمثل، 395/2.
4. المراغي، التفسير المراغي، 42/3.
5. سيد قطب، في ظلال القرآن، 312/1.
6. الراغب الأصفهاني، المفردات، 740.
7. المراغي، التفسير المراغي، 90/30.
8. مكارم الشيرازي، الأمثل، 53/8.

و يعتقد البعض أن هذه الآية هي من الآيات التي تبين خط مسير التكامل الأبدي للإنسان، و بعبارة أوضح أنّ الناس في حركة دائبة في هذا الطريق الطويل من حدود العدم إلى إقليم الوجود، و لا يزالون في حركة في هذا الإقليم نحو الوجود المطلق، و الوجود الأزلي، و أن هذه الحركة و السلوك التكاملي في استمرار الى الأبد ما داموا لا ينحرفون عن هذا الصراط المستقيم حيث يدخلون في كل يوم مرحلة جديدة من التقرب إلى الله تعالى، و إذا انحرفوا عن مسيرهم فإنهم سوف يسقطون و ينتهون.

يقول السيد الطباطبائي: "يتضمن حجة على المعاد لما عرفت أن الربوبية لا تتم إلا مع عبودية ولا تتم العبودية إلا مع مسؤولية ولا تتم مسؤولية إلا برجوع وحساب على الأعمال ولا يتم حساب إلا بجزاء".[1] كما يعتقد مكارم الشيرازي في تفسير الآية الكريمة، أوّلا: المراد هو ما قدم من الأعمال في حياته، أو الآثار الباقية منه بعد موته، ممّا ترك بين الناس من السنن الصالحة و السيئة و التي يعملون و يسيرون بها و وصول حسناتها و سيئاتها إليه. أو الكتب و المؤلفات و الأبنية القائمة على الخير و الشرّ، و الأولاد الصالحين و الطالحين التي تصل آثارهم إليه.و الثّاني: يمكن أن يراد به الأعمال الأولى التي أتى بها. و الأعمال الأخيرة التي أتى بها في عمره، و بعبارة أخرى أنّه ينبّأ بجميع أعماله. و الثّالث: أنّ المراد هو ما قدم من ماله لنفسه و ما ترك لورثته، و قيل: ما قدم من الذنوب، و ما أخر من طاعة الله أو بالعكس. و الوجه الأوّل هو الأنسب.[2]

ورد عن الإمام الباقر عليه السّلام في تفسير "(ينبّؤ) بما قدم من خير و شرّ، ما أخر من سنّة ليس بها من بعده فإن كان شرّا كان عليه مثل وزرهم، و لا ينقص من وزرهم شيئا، و إن كان خيرا كان له مثل أجورهم، و لا ينقص من أجورهم شيئا".[3]

و قوله تعالى: { وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ* وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ} (النجم: 30-40).

يؤكد القرآن بخطاب فصل مسؤولية الإنسان عن سعيه، أنه يُجازى عليه إن خيرا فخير وإن شرًّا فشر، وهي تتعلق بنفي الشرك وبرفض الأنداد ومدى عمق حقيقة التوحيد في النفس فكلما زاد يقين الإنسان بالله وأنه المالك الحاكم الأحد لكل شيء، كان أقرب من المسؤولية إيمانا وعملا، وأبعد عن الحجب والتبريرات التي تمنعه من حملها.[4] فما يحسب للإنسان إلا كسبه وسعيه وعمله. لا يزاد عليه شيء من من عمل غيره. ولا ينقص منه شيء لينالَه غيره. وهذه الحياة الدنيا هي الفرصة المعطاة له ليعمل ويسعى. فإذا مات ذهبت الفرصة وانقطع العمل.[5] فهل يستطيع أحد أن يتكهن بما سيؤول إليه مصير البشرية؟

فيكفي لحفنة ضئيلة من العاطلين، ذوي البطون المنتفخة، و بدون أيّ وازع انضباطي، يكفيهم لأن يعيثوا في الأرض الفساد، لماذا؟ لأنّ الناس ليسوا كالملائكة، بل هناك الأهواء التي تلعب بالقلوب و المغريات التي تدني إلى الانحراف. لقد اقتضت الحكمة الرّبانية أن يكون الإنسان حاملا لجميع الصفات الحسنة و السيئة، و يمتحن على هذه الأرض بما يحمل، و بما ذا يعمل، و عن ماذا يتجاوز؟ ... و السعي و الحركة لما هو مشروع، المجال الأمثل للامتحان. و الفقر و الغنى من البلاء الذي يدخل

[1]. الطباطبائي، الميزان، 242/20.
[2]. مكارم الشيرازي، الأمثل، 213/19.
[3]. الحرالعاملي ، وسائل الشيعة ،ج16 ، 173.
[4]. المدرسي، من هدى القرآن، 21/10.
[5]. سيدقطب، في ظلال القرآن، 3415/6.

ضمن مخطط التمحيص و الامتحان، فكما أنّ الفقر و العوز قد يجران الإنسان نحو هاوية السقوط في مهالك الانحراف، فكذلك الغنى في كثير من حالاته يكون منشأ للفساد و الطغيان.[1]

وهذه الوصية من أعظم دعائم الإصلاح فى المجتمع البشرى وهادمة لأسس الوثنية، وهادية للناس جميعا إلى ما تتوقف عليه سعادتهم فى الدنيا والآخرة، فإن العمل وحده هو وسيلة الفوز وطريق النجاة، لا كما يزعم الوثنيون من طلب رفع الضر وجلب النفع بقوة من وراء الغيب، وهى وساطة بعض المخلوقات الممتازة ببعض الخواص والمزايا بين الناس وربهم، ليعطيهم ما يطلبون فى الدنيا بلا كسب ولا سعى من طريق الأسباب التي جرت بها سنته فى خلقه، وليحملوا عنهم أوزارهم حتى لا يعاقبوا بها، أو ليحملوا الخالق على رفعها عنهم وترك عقابهم عليها، وعلى إعطائهم نعيم الآخرة وإنقاذهم من عذابها.[2]

المطلب الثالث: التوسعة الفردية في الاقتصاد ومعاش الإنسان

بديهي، أن من كانت قدرته محدودة و غير قادر على أن يهيء لنفسه كل ما يحتاج إليه على الدوام، يبدأ بجمع ما يملك و خزنه لوقت الحاجة إليه مستقبلا. و هل يمكن تصور ذلك في شأنه سبحانه!؟ الجواب بالنفي قطعا.[3] قوله تعالى: { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} (الملك: 15). إنّ الأرض مطيعة و مسخّرة لخدمة الإنسان في جميع المجالات، وحينما نمشي فيها فإننا لا نحصل فقط على الرزق بل ونزداد معرفة أيضا. و أن رزقنا لا يمكن أن يمشي إلينا بل لا بد أن نسعى إليه بأنفسنا، وهذه هي القاعدة السليمة التي يجب علينا أن نتبعها في الحياة لنمارس مسؤوليتنا فيها ونصل إلى اللقمة الحلال والمرضية عند الله، إذن فليس في الدين دعوة للخمول والكسل والتطفل على الآخرين، كما يصوره البعض، إنما هو صورة لسنن الحياة الواقعية التي لا يمكن لأحد الوصول إلى أهدافه وأغراضه إلا من خلالها ومن أهمها سنة السعي والكدح.[4]

قوله تعالى: { وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ۗ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ} (الأعراف: 10)، «معايش» جمع «معيشة»، و هي: الوسائل و المستلزمات التي تتطلبها حياة الإنسان، و التي يحصل عليها بالسعي تارة، و تأتيه بنفسها تارة أخرى. و مع أن بعض المفسّرين قد حصر كلمة «معايش» بالزراعة و النبات أو الأكل و الشرب فقط، و لكنّ مفهومها اللغوي أوسع من أن يخصص، و يطلق ليشمل كل ما يرتبط بالحياة من وسائل العيش.[5] و لهذا فسّر جمع من المفسّرين أمثال العلّامة الطبرسي في (مجمع البيان) و الفخر الرازي في (تفسيره الكبير) و الراغب في (المفردات)، فسّروا خزائن الله بمعنى (مقدورات الله)، يعنى: أنّ كل شيء جمع في خزانة قدرة الله، و كل ما يخطه ضرورة أو صلاحا لمخلوقه يخلقه بقدرته. و قد فسّر بعض كبار المفسّرين «خزائن الله» بأنّها: (مجموع ما في الكون من أصوله و عناصره و أسبابه العامّة المادية، و مجموع الشيء موجود في مجموع خزائنه لا في كل واحد منها).[6] وجعل الله للإنسان معايشه في الأرض، فعلمه كيف يعيش، وخلق أنواع الصيد في البر والبحر، وعلمه كيف يصيد، وأودع في الأرض كنوز الخير يستخرجها البشر بالزراعة، وعلمه كيف يحول مواد الأرض بحيث يستفيد منها، كما أنه وفر لكل حي رزقا

[1]. مكارم الشيرازي، الأمثل، 53/8.
[2]. المراغي، تفسير المراغي، 92/8.
[3]. مكارم الشيرازي، الأمثل، 54/8.
[4]. ينظر ، المدرسي، من هدى القرآن، 121/11؛ مكارم الشيرازي، الأمثل، 492/18.
[5]. ينظر ، مكارم الشيرازي، الأمثل، 51/8.
[6]. ينظر، مكارم الشيرازي، الأمثل، 54/8؛ الطباطبائي، الميزان، 42/12.

يناسبه، هل يرزق البشر بعض أنواع الهوام والحشرات والدواب والطيور، والأسماك. وبالرغم من أن الإنسان يسعى من أجل رزقه، فهو مثلا: يحرث الأرض ويطلب الصيد، ولكن هذا السعي ليس سوى وسيلة لاستدرار رحمة الله. ذلك لأن خزائن الله مليئة بالرزق، وتنتظر أوامر الله التي لا تأتي إلا بحكمة، ومتى تقتضي الحكمة؟ عندما يسعى البشر.[1] فلو أعطى الله البشر من دون سعي لشجعه على الكسل والترف، وإذا أنزل عليه أكثر من حاجته طغى في الأرض.

هذه الأرزاق ككل شيء مقدرة في علم الله، تابعة لأمره ومشيئته، يصرفها حيث يشاء وكما يريد، في الوقت الذي يريده حسب سنته التي ارتضاها، وأجراها في الناس والأرزاق، و يتجلى بوضوح أكثر كلما تقدم الإنسان في المعرفة، وكلما اهتدى إلى أسرار تركيب هذا الكون وتكوينه.[2]

ثم تنسف الآية الكريمة في خاتمتها كل القيم المادية التي تفسر الحياة تفسيرا شيئيًّا، وتحصر مسؤولية الإنسان في الوجود في مساحة ضيقة وتافهة، فإذا بها تنزل به إلى وادٍ سحيق وطموحات ضالة، وكأنه يشبه الأنعام خُلِقَ ليأكل، ليعيش بلا هدف! كلا .. إن الإنسان له أن يتعلم من الحياة والطبيعة من حوله درسا أساسيًا، فلينظر إلى ما حوله هل يجد شيئا خُلِق بلا هدف؟ فما هو هدفه؟ دعه يبحث عن هدفه فإنه سيجد هدفه أعظم من مجرد الأكل والشرب والتلذذ، كلا .. إن له تطلعا أسمى وطموحات أكبر .. مثلا يتطلع كل إنسان لملك الأرض والخلود في الحياة. هل يتحقق له ذلك في هذه الحياة؟ كلا .. وهكذا يهتدي الإنسان إلى الإيمان بالآخرة، وبعبارة موجزة: سيواجه الحقيقة التي تطرحها الآية في خاتمتها «وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» وتنطوي هاتان الكلمتان على مجمل حقائق الإيمان حيث الإيمان بالآخرة، والتسليم لله عز وجل نفسيًّا بالإيمان وعمليًّا باتباع رسله ومناهجه. وعندما نتأمل في ترابط أجزاء الآية الكريمة ببعضها نكتشف حقيقة هامة وهي أن على الإنسان أن يضع هدفه ويفكر في مستقبله الأبدي وهو يمارس الحياة بكل صورها، أكلا وشربا وسعيا في طلب الرزق. ومن ضرورة الأكل والشرب الحياتية يجب عليه أن يتحسس حاجاته وهو يمضي إلى مصيره، ومن ارتكاز الحصول على الرزق بالسعي (أو بتعبير الآية المشي) يجب أن يعرف بأن وصوله إلى غاياته في الآخرة هو الآخر يرتكز على السعي، وأن خير الزاد في ذلك السفر الطويل لهو التقوى.[3]

الأكل والرزق في الآية أعم من ظاهرها، فالأكل صورة من صور الاستهلاك، والرزق هو عموم ما يحتاج الإنسان إليه، والآية بمجملها توحي بأن الأرض خلقت مذللة في بعض الجوانب ولكن الله يريد للإنسان أن يذللها كلها بسعيه، وبالرغم من أنه لا يقدر على تذليل كل شيء فيها لتصبح الأرض جنة الفردوس لأنه يتنافى مع حكمة خلق الإنسان فيها ألا وهي الابتلاء، فإنه قادر على تطوير حياته إلى الأفضل أبدا.

المبحث السادس: التوسعة الفردية من الجانب الإداري

إنَّ في القرآن، صياغة المعرفة بأسلوب متجدد يتصف بالدقة و التوافق مع فكر أو محور السورة التي ورد فيها ففي كل قراءة متدبرة تكتشف دلائل متنوعة و تحصل على معرفة جديدةً الأمر الذي يثبت المفهوم التكاملي و الشمولي للمعرفة الإدارية. كما أنه يضيف المتعة الأدبية للمعلومة الإدارية فتصبح أكثر انسجاما و جذبا داخل منظومة معرفية متميزة. وإعتمد القرآن التوثيق كأسلوب رئيس في عرض المعلومة الإدارية يتضح ذلك في كثير من التوجيهات التي وردت ضمن الآيات المتعلقة بالمواقف أو

[1]. المدرسي، من هدى القرآن، 273/4.
[2]. سيد قطب، في ظلال القرآن، 2134/4.
[3]. المدرسي، من هدى القرآن، 121/11.

القصص. (مثال: قصة هدهد مع نبي سليمان (عليه السلام). حيث طلب النبي سليمان (عليه السلام) من الهدهد مبرراً موثقاً لغيابه، كما أنّه أرسل خطاباً موثقاً لغيابه، كما أنه أرسل خطابا موثقا إلى بلقيس لدعوة قومها إلى الإيمان بالله، و من منهجية القرآن أيضا توثيق المعلومة بالأحداث المصاحبة سواء حدثت أو ستحدث. و مثال آخر في قصة يوسف (عليه السلام)، وضع القرآن معايير واضحة للمارسة الإدارية في المواقف المختلفة و ساقها بطريقة تبرز ضرورتها وأهميتها مثال: معيار اختيار الموظف الكفء في قصة يوسف، يقول الله تبارك وتعالى على لسان يوسف عليه السلام: {قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} (يوسف: 55). وقد طلب يوسف عليه السلام هذا الطلب لأنه يعلم كيفية الخروج من الأزمة، وبعد أن صرح له الملك وقال له: { إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ } (يوسف: 54). الملاحظ في القضايا الاقتصادية انّه قد لا تكون (زيادة الانتاج) بمكان من الاهميّة بقدر اهميّة (الرقابة على الاستهلاك) و من هنا نشاهد انّ يوسف في ايّام حكومته، حاول- بشدّة- ان يسيطر على الاستهلاك الداخلي في سنوات الوفرة لكي يتمكّن من الاحتفاظ بجزء كبير من المنتوجات الزراعية لسنوات القحط و المجاعة القادمة، و في الحقيقة انّ زيادة الانتاج و الرقابة متلازمان لا يفترقان، فالزيادة في الانتاج لا تثمر الّا إذا أعقبتها رقابة صحيحة، كما انّ الرقابة تكون اكثر فائدة إذا أعقبتها زيادة في الانتاج. انّ السياسة الاقتصادية التي انتهجها يوسف عليه السّلام في مصر أظهرت انّ الخطّة الاقتصادية الصحيحة و المتطورة مع الزمن لا يمكن ان تقتصر على متطلّبات الجيل الحاضر، بل لا بدّ و ان تراعي مصالح الأجيال القادمة، لانّ التفكير بالمصالح المستعجلة للجيل الحاضر و التغاضي عن مصالح الأجيال القادمة- كما لو استهلكنا جميع ثروات الأرض- تعتبر غاية الانانية و حبّ الذات، إذ انّ الأجيال القادمة هم في الواقع إخوتنا و أبناؤنا فلا بدّ من التفكير في مصالحهم و عدم التفريط بها.[1] قوله تعالى: { وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ* قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} (يوسف: 54-55). وقد طلب إدارة الأمور المالية ، لأن سياسة الملك وتنمية العمران وإقامة العدل فيه تتوقف عليها ، وقد كان مضطرا إلى تزكية نفسه فى ذلك حتى يثق به الملك ويركن إليه فى تولية هذه المهامّ. وما أضاع كثيرا من الممالك الشرقية فى القرون الأخيرة إلا الجهل والتقصير فى النظام المالى وتدبير الثروة وحفظها فى الدولة والأمة.[2] كان يوسف يعلم انّ جانبا كبيرا من الاضطراب الحاصل في ذلك المجتمع الكبير المليء بالظلم و الجور يكمن في القضايا الاقتصادية، و الآن و بعد ان عجزت اجهزة الحكم من حلّ تلك المشاكل و اضطرّوا لطلب المساعدة منه، فمن الأفضل له ان يسيطر على اقتصاد مصر حتّى يتمكّن من مساعدة المستضعفين و ان يخفّف عنهم- قدر ما يستطيع- الآلام و المصاعب و يستردّ حقوقهم من الظالمين. و يقوم بترتيب الأوضاع المترديّة في ذلك البلد الكبير، و يجعل الزراعة و تنظيمها هدفه الاوّل و خاصّة بعد وقوفه على انّ السنين القادمة هي سنوات الوفرة حيث تليها سنوات المجاعة و القحط، فيدعو الناس الى الزراعة و زيادة الانتاج و عدم الإسراف في استعمال المنتوجات الزراعية و تقنين الحبوب و خزنها و الاستفادة منها في ايّام القحط و الشدّة. و هكذا لم ير يوسف بدّا من توليّة منصب الاشراف على خزائن مصر.[3] هكذا امر الملك بإحضاره لكي يجعله مستشاره الخاص و نائبه في المهمّات فيستفيد من علمه و معرفته و خبرته لحلّ المشاكل المستعصية. فدخل

[1]. مكارم الشيرازي، الأمثل، 242/7.
[2]. المراغي، تفسير المراغي، 6/13.
[3]. مكارم الشيرازي، الأمثل، 237/7.

يوسف على الملك و تكلّم معه فعند ما سمع من يوسف الاجوبة التي تحكي عن علمه و فراسته و ذكائه الحادّ، ازداد حبّا له و قال: انّ لك اليوم عندنا منزلة رفيعة و سلطات واسعة و انّك في موضع ثقتنا و اعتمادنا فَلَمَّا كَلَّمَهُ قالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِينٌ فلا بدّ ان تتصدّى للمناصب الهامّة في هذا البلد، و تهتمّ بإصلاح الأمور الفاسدة، و انّك تعلم (حينما فسّرت الرؤيا) بأنّ ازمة اقتصادية شديدة سوف تعصف بهذا البلد، و في تصوّري انّك الشخص الوحيد القادر على ان يتغلّب على هذه الازمة. فاختار يوسف منصب الامانة على خزائن مصر.[1]

و قال مكارم الشيرازي أيضاً: "ان على علم بالأزمة الاقتصادية الشديدة التي سوف تعصف بالشعب المصري، بحيث لولا التخطيط الدقيق و الاشراف المباشر عليها لماتت جماعات كثيرة من الشعب .. فبناء على هذا فإنّ انقاذ حياة الامّة و الاحتفاظ بأرواح شعب بريء يقتضي ان يستفيد يوسف من هذه الفرصة التي أتيحت له و يستغلّها لأجل خدمة جميع افراد الشعب، و بخاصّة المحرومين منهم حيث انّهم عادة ما يكونون اوّل ضحايا الازمة الاقتصادية و اكثر المتضرّرين من الغلاء". و قد ورد كلام مفصّل حول هذا الموضوع في بحث استجابة طلب الظالم و قبول الولاية في علم الفقه، و انّ استجابة طلب الظالم و التصدّي لمناصب الحكم لا يكون حراما دائما، بل تارة يكون مستحبّا، و قد يكون في بعض الأحيان واجبا شرعا، و ذلك إذا كانت منفعة التصدّي و مرجّحاته الدينيّة اكثر من الإضرار الناتجة عن التصدّي من دعم حكم الظالم و غيره.[2] فلا بدّ من ملاحظة المنافع الدينيّة و الاجتماعية و مقارنتها مع الإضرار الناتجة، إذ لعلّ الذي يتصدّى للمنصب قد يستطيع في نهاية المطاف ان يزيح الظالم عن الحكم (كما حدث ليوسف بناء على مضمون بعض الرّوايات الواردة) او يكون المعين الذي تنبثق منه الحركات و الثورات، لانّه يقوم بتهيئة مقدّمات الثورة من داخل اجهزة الحكم القائم (و يمكن ان يكون مؤمن آل فرعون من هذا القبيل) او يكون على الأقل ملجأ و ملاذا للمظلومين و المحرومين و مخفّفا عن آلامهم و الضغوط الواردة عليهم من قبل اجهزة النظام و كلّ واحد من هذه الأمور يمكن ان يكون مبرّرا للتصدّي للمناصب و قبولها من الحاكم الظالم، و للإمام الصادق عليه السّلام رواية معروفة في حقّ هؤلاء الأشخاص، يقول عليه السّلام: (كفّارة عمل السلطان قضاء حوائج الاخوان) .[3] و قد يستفيد بعض الانتهازيين من حياة (يوسف) او (علي‌بن يقطين) و يتّخذه ذريعة للتعاون مع الظالم و تغطية لاعمالهم الشريرة، في حين انّه يوجد بون شاسع بين تصرّفاتهم و تصرّفات يوسف.

يتحدث مكارم الشيرازي في تفسيره "الأمثل" عن اهميّة المسائل الاقتصادية و الادارية و يذكر لا يمكن غضّ النظر عن اهمية القضايا الاقتصادية و دورها في المجتمعات، و الآيات السابقة تشير إلى هذه الحقيقة، و الملاحظ انّ يوسف ركّز من بين جميع مناصب الدولة على منصب الاشراف على الخزانة، و ذلك لعلمه انّه إذا نجح في ترتيب اقتصاد مصر، فإنّه يتمكّن من إصلاح كثير من المفاسد الاجتماعية، كما انّ تنفيذه للعدالة الاقتصادية يؤدّي الى سيطرته على سائر دوائر الدولة و جعلها تحت امرته. و قد اهتمّت الرّوايات الاسلامية بهذا الموضوع اهتماما كبيرا، فمثلا نرى في الرّواية المعروفة المروية عن امير المؤمنين علي عليه السّلام انّه جعل (قوام الدين و الدنيا) في ركنين: أحدهما القضايا الاقتصادية و ما يقوم عليه معاش الناس، و الرّكن الآخر هو العلم و المعرفة.

---

[1]. المصدر السابق 236/7.
[2]. مكارم الشيرازي، الأمثل، 239/7.
[3]. السيد البروجردي ، جامع احاديث الشيعة ، ج22، ص356 . و الحر العاملي، وسائل الشيعة، 139/12.

و برغم انّ المسلمين قد أهملوا هذا الجانب من الحياة الفردية و الاجتماعية الذي اهتمّ به الإسلام كثيرا و تأخّروا عن اعداء الإسلام في هذا الجانب، الّا انّ يقظة المجتمعات الاسلامية المتزايدة و توجّههم نحو الإسلام يزيد الأمل في النفوس بأن تزيد من نشاطها الاقتصادي و تعتبره عبادة اسلامية كبرى، و تقوم ببناء نظام اقتصادي مدروس وفق خطط محكمة لكي تعود إليهم قوّتهم و نشاطهم.[1]

و هنا نقطة اخرى يجب التنبيه عليها، و هي انّنا نلاحظ انّ يوسف عليه السّلام يخاطب الملك و يقول له: إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ و هذه اشارة الى اهميّة عنصر الادارة الى جانب عنصر الامانة و انّ توفّر عنصر الامانة و التقوى فقط في شخص لا يؤهّله لان يتصدّى لأحد المناصب الاجتماعية الحسّاسة، بل لا بدّ من اجتماع ذلك العامل مع العلم و التخصّص و القدرة على الادارة، لكونه قرن ال (عليم) مع ال (حفيظ) و كثيرا ما نشاهد الإضرار الناتجة عن سوء الادارة لا تقلّ بل تزيد على الخسائر الناتجة عن الخيانة! فهذه التعليمات الاسلامية صريحة في اهميّة جانب الادارة و القدرة عليها، و مع ذلك نرى تهاون بعض المسلمين بهذا الجانب، فالمهمّ لديهم هو نصب الأشخاص الذين يطمئنون الى تقواهم و أمانتهم لادارة الأمور، مع انّ السيرة النبوية الشريفة صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كذلك سيرة علي عليه السّلام ترشدان الى انّهما كانا يهتمّان اهتماما كبيرا بالجانب الاداري و القدرة على الادارة مع اهتمامهم بأمانة الشخص و سلوكه الحسن.[2] فمثل هذه الأوصاف هي في الواقع لأجل إيقاظ الغافلين و إرشادهم الى الاستفادة من هذا المنهل العذب في سبيل الوصول الى سعادة الفرد و المجتمع.

المبحث السابع: التوسعة الفردية من الجانب السياسي

يقول تعالى: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ} (آل عمران: 159).

هذه الآية و إن كانت تتضمن سلسلة من التعاليم الكلية الموجهة إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و تشتمل من حيث المحتوى على برامج كلية و أساسية. و تجمع مفاهيم أساسية عن السياسة و هي: اللين، واجتناب الفظاظة والغلظة في القول والعمل، والعفو، والمسامحة، والشورى، والقرار، والعزم، والحزم. وليتأمل القارئ الأجواء التربوية التي تختزنها هذه المفاهيم.

الأمر بالمشاورة، بعد إصدار الأمر بالعفو العام يأمر اللّه نبيه صلى اللّه عليه و آله و سلّم بأن يشاور المسلمين في الأمر و يقف على و جهات نظرهم، و ذلك إحياء لشخصيتهم، و لبث الروح الجديدة في كيانهم الفكري و الروحي اللذين أصابهما الفتور بعد الذي حدث. على أن هذا الأمر للنبي بمشاورة المسلمين إنما هو لأجل أنه(صلى اللّه عليه و آله و سلّم)- كما أسلفنا- قد استشار المسلمين قبل الدخول في معركة «أحد» في كيفية مواجهة العدو و استقر رأي الأغلبية منهم على التعسكر عند جبل «أحد» فكان ما كان من المكروه و وقع ما وقع من البلاء، و هنا كان كثيرون يتصورون بأن على النبي أن لا يشاور بعد ذلك أحدا، و أن عليه أن يتصرف كما يرى هو، و لكن القرآن الكريم جاء يرد على هذا التصور، و يجيب على هذا النوع من التفكير و يأمر النبي بأن يعيد المشاورة إذ يقول: وَ شاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ لأن المشاورة و إن لم تنفع في بعض المواضع، فإنها نافعة على العموم، بل إن نتائجها المفيدة الكثيرة لو قيست إلى بعض النتائج السلبية و غير المفيدة تبدو أكثر أضعافا كما و أن أثرها في صياغة

[1]. مكارم الشيرازي، الأمثل، 241/7.
[2]. أنظر، مكارم الشيرازي، الأمثل، 242/7.

الأفراد و الجماعات و إنماء شخصيتهم من الأهمية بحيث يغطي على نقاط ضعفها، بل هو أبرز آثارها و أهم فوائدها الذي لا يمكن و لا يجوز التغاضي عنه.[1]

وسيبقى للقرآن قصب السبق في الثقافة القيادية والسياسية للمجتمع والتي لم تشهد الإنسانية مثالاً لها ينافسه في تاريخها الطويل. ففي هذه الآية دعوة إلى استخدام اللين والرحمة في السياسة و الإدارة، واجتناب الغلظة والفظاظة، لئلا ينفض الناس من حول القائد، ويبقى وحده، ولئلا يضطر القائد أن يجمع الناس، ويديرهم بالعنف والإرهاب: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ". إن استقطاب قلوب الناس واجتذابهم هو افضل تعريف لشخصية القائد، ومن أبرز قيم الإدارة والقيادة. ثم بعد ذلك تذكر الآية الكريمة خصالا ثلاثة { فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ}

والشورى هي المشاركة في الرأي، فلا يجوز القائد أن يستبد بالرأي، ويحجب الناس عن الرأي والمشاركة في صناعة القرار، والله ورسوله غنيان عن المشورة، ولكن الله تعالى يريد لرسوله "ص" أن يطيّب بذلك قلوب الناس، وأما الكلمة الأخيرة، وهي القرار فيبقى لرسول الله "ص" وأولياء الأمور من بعده.والنخبة التي تعطي الرأي والمشورة لولي الأمر يجب أن تكون نخبة صالحة كفوءة مؤمنة، يقول أمير المؤمنين(عليه السلام): (ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله".[2]إنّ للشورى معطيات نفسية كبيرة في نفوس الجماعة، فهي تعزز الثقة في نفوس المؤمنين وتضاعف شعورهم بالمسؤولية إزاء نتائج القرار السلبية أو الإيجابية، كما إنها تفتح للقائد آفاقاً جديدة من الرأي عندما تجتمع الآراء عنده، فيختار أنسبها وأصلحها للظروف المحيطة به، وهذه المشاركة العقلية والنفسية من الناس تعطي للقرار السياسي والإداري والعسكري قوّة أكثر، ولكل قرار، مهما كان صالحاً سلبيات، فإذا أشرك الناس في صناعة القرار فأنهم بالضرورة يتحملون سلبياته معه، وهي أعظم إسناد للقيادة بعد معية الله تعالى، بل هي من منازل معية الله تعالى ونصره، فإن الله تعالى إذا عرف صدق القيادة والقاعدة في التعاون، والتعاضد، والتشاور، والتعامل في إنجاز مهام القيادة والإدارة أنزل عليهم نصره وتأييده.

و الآن نرى في أي المواضيع كان يشاور الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلّم أصحابه؟

صحيح أن كلمة «الأمر» في قوله تعالى وَ شاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ذات مفهوم واسع يشمل جميع الأمور، و لكن من المسلم أيضا أن النبي صلى اللّه عليه و آله و سلّم لم يشاور الناس في الأحكام الإلهية مطلقا، بل كان في هذا المجال يتبع الوحي فقط.

و على هذا الأساس كانت المشاورة في كيفية تنفيذ التعاليم و الأحكام الإلهية على أرض الواقع. و بعبارة أخرى: إن النبي لم يشاور أحدا في التقنين، بل كان يشاور في كيفية التطبيق و يطلب وجهة نظر المسلمين في ذلك.فالجماعة أبعد عن الخطإ من الفرد فى أكثر الحالات ، وما ينشأ من الخطر على الأمة بتفويض أمرها إلى واحد مهما حصف رأيه ، أشد من الخطر الذي يترتب على رأى الجماعة.[3]

و لهذا عند ما كان يقترح النبي صلى اللّه عليه و آله و سلّم أمرا- أحيانا- بادره المسلمون بهذا السؤال: هل هذا حكم إلهي لا يجوز إبداء الرأي فيه، أو أنه يرتبط بكيفية التطبيق و التنفيذ؟ فإذا كان من النوع

[1]. مكارم الشيرازي، الأمثل، 2/748-749.
[2]. نهج البلاغة، 88.
[3]. المراغي، تفسير المراغي، 4/113.

الثاني، أدلى الناس فيه بآرائهم، و أما إذا كان من النوع الأول لم يكن منهم تجاهه سوى التسليم و التفويض.[1] في كلمات الإمام علي عليه السّلام قوله: "من استبد برأيه هلك، و من شاور الرجال شاركها في عقولها".[2] لقد حظيت مسألة المشاورة بأهمية خاصة في نظر الإسلام، فالنبي صلى الله عليه و آله و سلّم رغم أنه كان يملك- بغض النظر عن الوحي الإلهي- قدرة فكرية كبيرة تؤهله لتسيير الأمور و تصريفها دون حاجة إلى مشاورة أحد، إلّا أنه صلى الله عليه و آله و سلّم كيما يشعر المسلمين بأهمية المشاورة و فوائدها حتّى يتخذوها ركنا أساسيا في برامجهم و حتّى ينمي فيهم قواهم العقلية و الفكرية نجده يشاور أصحابه في أمور المسلمين العامة التي تتعلق بتنفيذ القوانين و الأحكام الإلهية (لا أصل الأحكام و التشريعات التي مدارها الوحي) و يقيم لآراء مشيريه أهمية خاصة و يعطيها قيمتها اللائقة بها، حتّى أنه كان- أحيانا- ينصرف عن الأخذ برأي نفسه احتراما لهم و لآرائهم كما فعل ذلك في «أحد»، و يمكن القول بأن هذا الأمر بالذات كان أحد العوامل المؤثرة وراء نجاح الرسول الأكرم في تحقيق أهدافه الإسلامية العليا. و الحقّ أن أية أمة أقامت إدارة شؤونها على أساس من الشورى و المشاورة، قل خطأها، و ندر عثارها، على العكس من الأفراد الذين يعانون من استبداد الرأي، و يرون أنفسهم في غنى عن نصح الناصحين و رأي الآخرين فإنهم إلى العثار أقرب، و من الصواب و الرشد أبعد، مهما تمتعوا بسديد الرأي، و قوي التفكير، هذا مضافا إلى أن الاستبداد في الرأي يقضي على الشخصية في الجمهور، و يوقف حركة الفكر و تقدمه، و يميت المواهب المستعدة بل يأتي عليها، و بهذا الطريق تهدر أعظم طاقات الأمة الإنسانية. و مضافا أيضا إلى أن الذي يشاور الآخرين في أموره و أعماله إذا حقق نجاحا قل أن يتعرض لحسد الحاسدين، لأن الآخرين يرون أنفسهم شركاء في تحقيق ذلك الإنتصار و النجاح، و ليس من المتعارف أن يحسد الإنسان نفسه على نجاح حققه، أو انتصار أحرزه. و أما إذا أصابته نكسة لم تلمه ألسن الناس، و لم يتعرض لسهام نقدهم و اعتراضهم، لأن الإنسان لا يعترض على عمل نفسه، و لا ينقد فعل ذاته، بل سيشاطرونه الألم، و يتعاطفون معه، و يشاركونه في التبعات. كلّ ذلك لأنهم شاركوه في الرأي و شاطروه في التخطيط، و لم يكن متفردا في العمل، و لا مستبدا في الرأي.[3]

المبحث الثامن: التوسعة الفردية من الجانب الإجتماعي

يدعو القرآن الإنسان إلى الالتزام بالأعراف والأخلاق الاجتماعية الإيجابية الطيبة، التي تنمي روح الأواصر الصميمية، والعلائق الأخوية، وتذكي العواطف والأحاسيس العميقة في النفس الإنسانية، لذلك يقول في آياته. قوله سبحانه و تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ } (الحجرات: 10). ومما يترتب على هذه الأخوة أن يكون الحب والسلام والتعاون والوحدة هي الأصل في الجماعة المسلمة، وأن يكون الخلاف أو القتال هو الاستثناء الذي يجب أن يرد إلى الأصل فور وقوعه وأن يستباح في سبيل تقريره قتال المؤمنين الآخرين للبغاة من إخوانهم ليردوهم إلى الصف، وليزيلوا هذا الخروج على الأصل والقاعدة.[4]

وفي الأبعاد الاجتماعية التي فطر الله الناس عليها، التعارف والعلاقات الاجتماعية الفاضلة، القائمة على أساس التعارف والتعاون والإيثار والتضحية من أجل خدمة الإنسان والإنسانية، وهنا يقول الله

[1]. مكارم الشيرازي، الأمثل، 749/2.
[2]. نهج البلاغة، الحكمة/161.
[3]. مكارم الشيرازي، الأمثل، 751/2.
[4]. سيط قطب، في ظلال القرآن، 3334/6.

عزوجل. قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (الحجرات: 13)، فإذا المجتمع الذي يقوم على أساس التقوى والعمل الصالح هو المجتمع النموذجي المتكامل الذي يدعو إليه الإسلام.

ولقد كون الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، أول مجتمع قائم على أساس الأخوة والعلاقات الودية الخيرية، وعلى روح الإيمان والأخلاص والمحبة. المجتمع الذي يسوده الارتباط الإيماني التوحيدي، وليست العلائق المصلحية والمادية والنفسية كما هي المجتمعات الدنيوية اليوم.

عشرات الأنظمة الاجتماعية، ومئات الوصايا الأخلاقية توالت في الدين ليبلغ المسلمون حالة الأخوة الإيمانية، ومتى ما خالفنا بعضها انماث الإيمان في القلوب كما تنماث حبة الملح في كف المحيط .. وجاءت الروايات تترى وهي توصينا بحقوق إخوتنا في الإيمان، تعالوا نستمع إلى بعضها لعلنا نخلق ذلك المجتمع الأمثل الذي يتحدَّى أعاصير الفتنة والصراع.[1]

روي عن الإمام علي (عليه‌السلام) أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه واله و سلم): "لِلْمسلم عَلى أَخيه ثلاثون حَقّا لَا براءة له منها إِلَّا بِالأَدَاءِ أَو العفو: يغفر زلّته، ويرحم عبرته، ويستر عورته، ويقِيل عثرته، ويقبل معذرته، ويردُّ غِيبَتَهُ، ويُديم نَصِيحته، ويحفظ خلّته، ويرعى ذمّته، ويعود مرضته، ويشهد ميتتهُ، ويُجِيب دَعوته، ويقبل هَدِيّته، ويكافئ صِلَتَهُ، ويَشكر نعمته، ويحسن نصرته ويحفظ حليلته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألَته، ويسمّت عطسته، ويرشد ضالّته، ويردُّ سلامه، ويطيِب كلامه، ويبرُّ إنعامه، ويصدّق أقسامه، ويُوَالِي وليّه وَلا يعاديه، وينصره ظالما ومظلوما، فأما نصرته ظالما فيردّه عن ظلمه، وأمّا نصرته مظلوماً فيعينه على أَخذ حقهِ، ولا يسلمه، ولا يخذله، ويُحِب له مِنَ الخيرِ ما يحِبُّ لنفسه، ويكره له من الشَّرِّ ما يكره لِنفسه".[2]

فرسول الله صلى لله عليه وآله إنما بنى هذا المجتمع النموذجي الأمثل، القائم على أساس العدل والحرية والمساواة والائتلاف والإخاء إنما يريد أن يرشدنا إلى بناء الإنسان القرآني السليم القلب. الشفاف الروح، السمح النفس، الذي لا يعرف الغل والحقد والحسد.

وإنما نسب الوحي الإخوة إلى الإيمان (وليس الإسلام) لأن الإسلام مجرد التسليم للدين بينما الإيمان وَقر في القلب يفيض على كل جوانب حياة الإنسان، والذي يرفع الناس إلى مستوى الإخوة ليس مجرد التصديق المبدئي بالدين وإنما تطبيق تلك التعاليم القيمة التي تسقط الحواجز المادية والمصلحية التي تفصلهم عن بعضهم، إن التعامل اليومي بين المؤمنين يستدعي إشاعة حالة السلام والصفاء والمودة بينهم، وإلا فإن التعامل ليس فقط يصبح صعبا، بل يكون متلفا للأعصاب ويسبب تراكم السلبيات. ولولا عملية الإصلاح اليومية التي يقوم بها المؤمنون تجاه إخوتهم في ما يشجر بينهم فإن تراكم السلبيات يمهد السبيل للصراعات الكبيرة التي قد تؤدي إلى حالة الاقتتال، لأن كل واحد يستقطب طائفة من المؤمنين حوله وينشب الصراع بين طائفتين بينما كان في البدء بين فردين اثنين.[3]

قال الله سبحانه وتعالى: { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} (المائدة: 2)، تراجع هذه الآية والقواعد الاجتماعية في معنى التعاون على البر والتقوى إلى الاجتماع على الإيمان والعمل الصالح على أساس تقوى الله، وهو الصلاح والتقوى الاجتماعيان، ويقابله التعاون على الإثم

[1]. المدرسي، من هدى القرآن، 327/9.
[2]. الشيخ هادي النجفي ، موسوعة احاديث اهل البيت ، ج11 ، ص354 . والحر العاملي، وسائل الشيعة، 112/12.
[3]. المدرسي، من هدى القرآن، 328/9.

الذي هو العمل السيئ المستتبع للتأخر في أمور الحياة السعيدة، وعلى العدوان وهو التعدي على حقوق الناس الحقة بسلب الأمن من نفوسهم أو أعراضهم أو أموالهم.[1]

وتأتي أهمية التناجي بين المؤمنين على الصعيد الاجتماعي من كونها وسيلة فضلى إلى النقد البناء، بالنصيحة،[2] قال الإمام العسكري عليه السلام: "من وعظ أخاه سراً فقد زانه، ومن وَعظه علانية فقد شانه".[3] والأمر بالتعاون على البر والتقوى من أركان الهداية الاجتماعية فى القرآن، إذ يوجب على الناس أن يعين بعضهم بعضا على كل ما ينفع الناس أفرادا وجماعات فى دينهم ودنياهم وعلى كل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفاسد والمضار عن أنفسهم. وقد كان المسلمون فى الصدر الأول يتعاونون على البر والتقوى بدون حاجة إلى ارتباط بعهد كما تفعله الجماعات اليوم، فإن عهد الله وميثاقه كان مغنيا لهم عن غيره، ولكن لما نكثوا ذلك العهد صاروا فى حاجة إلى تأليف هذه الجماعات لجمع طوائف المسلمين وحملهم على إقامة هذا الواجب (التعاون على البر والتقوى). وقلما ترى أحدا الآن يعينك على عمل من أعمال البر إلا إذا كان مرتبطا بعهد معك لغرض معين ومن ثم كان تأليف الجماعات مما يتوقف عليه أداء هذا الواجب غالبا.[4]

فالمطلوب الإنسان المتعاون على تحقيق عوامل البر وأسس التقوى والنهي عن الإثم والعدوان والظلم، كما في الآية المارة الذكر وهذه الآية الكريمة.

وقوله تعالى: { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} (النساء: 31).

إنما يؤكد القرآن الكريم على تواضع الإنسان في جميع جوانب حياته، من المأكل والملبس والمشرب والمشي والحديث وأمثالها، كما جاءت في وصية لقمان لابنه وهو يعظه:

{ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} (لقمان: 17-19).

فلقد جاء في الوصية النيرة هذه جملة مسائل تخص الإنسان، منها شؤون عبادية فردية كإقامة الصلاة والصبر والتحمل، ومنها اجتماعية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدَّ ذلك من عزم الأمور.

ومنها مايخص الجانب السلوكي والتربوي للإنسان، وكيف يساير الناس ويعايشهم. قوله: "وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ" دلاله على التواضع، أي لا تمله كبراً وتعاظماً. "وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا": أي لا تمش مشية الخيلاء والبطر، والمختال الفخور، المتكبر المباهي بمناقبه. "وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ": يعود القرآن ليعلم الإنسان كيف يمشي وما هي آداب المشي بقوله واقصد: أي توسط واعتدل فيه، "وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ": أي اخفض وأنقص.

ومن هنا يتبين لنا كيف يعلم القرآن الفرد كما يعلم المجتمع، في كل صغيرة وكبيرة، ويهتم بجانب الإنسان بالحياة أيما اهتمام، لأنه كما قلنا فيما سبق محور الحديث في القرآن الكريم.

الخاتمة :

[1]. الطباطبائي، الميزان، 163/5.
[2]. المدرسي، من هدى القرآن، 10/ 337.
[3]. المجلسي، بحار الأنوار، 166/71.
[4]. المراغي، تفسير المراغي، 46/6.

اولا : النتائج

1- إنَّ الإنسان هو ميدان الرشد و التوسعة، ومحورها، وأساس قيامها، واستمرارها، وغني عن البيان أنَّ الله عَزَّ وجَلّ، استخلف الإنسان في الأرض، وسخَّرَ له ما في الكون جميعاً، وجعل الأرض ذلولاً له، القيام بمهمّة الاستخلاف، وتعمير الأرض.

2- إنَّ عمارة الأرض، هي الغايةِ من استخلافِ الإنسان فيها، وتعني الخلافة، تسخيرُ الموارد الطبيعية للإنسان، ليعمل على إنتَاج السلع، والخدمات، و التوسعة في كل مجال.

3- تُعَدُّ التوسعة وسيلة لتحقيق سعادة الإنسان، ورفاهيته، في الدنيا، والآخرة، حيث أنَّ الله عَزَّ وجَلّ، قد سَخَّرَ كل ما في هذا الكون لخدمة الإنسان، كما في قوله تعالى: {سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}.

4- ان أهمية العلم للفرد، قال الله تعالى: { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ} ، ومن فوائد العلم: توسعة مدارك الفرد وقدرته على الفهم والإدراك والاستيعاب والتحليل والنظر إلى الموضوع أو القضية من أكثر من زاويةٍ.

حيث ان التوسعة تكسب للفرد الاحترام الذاتي والاحترام والتقدير والمهابة من قبل الآخرين وترفع درجته كما أخبر بذلك القرآن الكريم.

5- التوسعة الفردية تنير العقل وتهدي إلى الحق والصواب إذا استخدمت في الخير وقُصِدت به النفع للنفس وللناس. و بالتوسعة تستطيع كسب الرزق والحصول على الوظيفة الملائمة الثابتة في القطاع الحكومي والخاص. ومن هنا يتبين لنا ان التوسعة و العلم و التنمية تسهل على الفرد الحياة وتطوع كل شيءٍ لخدمته من الطبيعة والتكنولوجيا فيصبح كل شيءٍ بمتناول يديه.

6- تنطلق التوسعه الفردية في الاقتصاد مثلاً، من خلالِ حفظ كرامته، ورعاية حقوقه وحريته، وزيادة كفاءته، وتنمية قدراته، من أجل رفع درجة مُساهمته الإيجابية في بناء الأُمَّة، ذلك أنَّ التنمية تنطلق من الإنسان، ثم تتجه لتغيير محيطه المادي، وتهدف في النهاية إلى تحقيق سعادته في هذه الحياة.

7- و في الإدارة، يرتبط مفهوم الإدارة في القرآن بالوظيفة المناطقة بها و المتمثلة في تحقيق اعمار الأرض تنفيداً لأمر الاستخلاف الإلهي الذي لا يمكن أن يتم دون إدارة، لذلك فإن وجود الإدارة مسألة حتمية وفق المنظور القرآني، و لأنها حتمية فلابد لها من نظام، هذا النظام يكون بغاية محددة و خريطة واضحة و عناصره ذات علاقات و أبعاد معروفة، و هناك قيم تحكمه، و هي نظام شامل متكامل يقوم على توحيد الله الذي كلف الإنسان بهذه المهمة، و أعده لها بالعلم و المعرفة، و يدور مفهوم الإدارة في القرآن حول عدة محاور: محور النظام و يمثله الشرائع المنزلة على رسله لتوجيه الإنسان.

8- ومحور الوظيفة أي إعمار الأرض، و للإعمار مفهوم واسع و في كل مجالات التنمية المستدامة لتنفيذ مقاصد الشريعة.

9- محور الإنسان حيث يقوم بها الإنسان لتحقيق مصالح و منافع إنسانية، لأجل هذا فقد وضع القرآن أسلوب التعامل مع الإنسان و استغلاله كمورد، خاصة و أن البشر كلهم مستخلفون و هو الأمر الذي يعبر عنه ببناء الإنسان، و يتمثل ذلك ابتداءً، في الإكرام و التقدير، ثم التأهيل و الاستثمار ثم الشورى و المشاركة في التنفيذ و أخيراً التحفيز للعمل و المتابعة الفعالة، و ذلك ضمن قيم العدالة و الأمانة و المسؤولية و غيرها. و ان المنهج القرآني منهج فريد في إعادة و إن الآيات الكريمة توضح لنا مفهوم

الإدارة في القرآن من حيث الشمولية و التكامل و التوسعة بين كل كل المحاور و العناصر التي تكون تلك المنظومة.

ثانيا : التوصيات

للابد أن نحرص على استنباط المعرفة الإدارية من القرآن، و صياغتها بأسلوب معاصر.

وهناك العديد من المُصطلحات التي تدّلُ على التوسعة الفردية في القرآن الكريم، و من ذلك: العلم، السعي و العمل، التزكية، التعاون، و عمارة الأرض، الإدارة و الإقتصاد و...

فهذه الموارد عنواناً في القرآن الكريم في مختلف مجالات الحياة، تدعو الإنسان إلى الالتزام بها كقوانين وضوابط لتنظيم شؤونه في الحياة، وهي أفضل منهج حضاري لبناء أفضل وأكمل حضارة على البسيطة، تعمر بها الدنيا ويفلح بها الإنسان، وتسير البشرية إلى مرافئ السلام والسعادة، تلك هي حضارة القرآن التي تدعو إلى الإعمار والبناء والاستثمار في الأرض على أحسن الوجوه، بخلاف الحضارات البشرية التي تسير نحو الإفراط والتفريط، وبخلاف التمدن البشري الذي يسير نحو الانزلاق والهاوية.

المصادر و المراجع

القرآن الكريم
نهج البلاغة
1- ابنفارس، احمدبن زكرياء، معجم مقائيس اللغة؛ تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، دار احياء الكتاب العربي، ط1، 1366ق.
2- ابنمنظور، محمدبن مكرم، لسان العرب؛ بيروت، دار الصادر، ط3، 1956م.
3- البحراني، السيد هاشم، البرهان في تفسير القرآن؛ قم، مؤسسة مطبوعاتب اسماعيليان، 1417ق.
4- الجوهري، إسماعيل، الصحاح؛ تحقيق: محمد محمدتامر و أنس محمد الشامي و زكريا جابر احمد، القاهرة، دار الحديث، 1430ق.
5- الحر العاملي، محمدبن الحسن، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، النجف الأشرف، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، د ت.
6- السيد البروجردي ، جامع احاديث الشيعة ، المؤلف : الحاج الشيخ اسماعيل المعزي الملايري ، قم ، نشر الصحف ، 1373ه –ش ، 1415 ه ق
7- الشيخ هادي النجفي ، موسوعة احاديث اهل البيت (ع) ، دار احياء التراث العربي ، 1423 ه – 2002 م .
8- الراغب الأصفهاني، الحسينبن محمد، المفردات في غريب القرآن؛ تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق، دار القلم، ط1، 1412ق.
9- سيد قطب، إبراهيم حسين،في ظلال القرآن، بيروت، دار الشروق، ط7، 1412ق.
10- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن؛ بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، د ت.
11- عبده، محمد، نهج البلاغة؛ بيروت؛ دار المعرفة، د ت.
12- العروسي الحويزي، عبد عليبن جمعة، تفسير نور الثقلين؛ تحقيق: السيد علي عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، قم، 1383ق.

13- الفراهيدي، الخليلبن أحمد، العين؛ تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424ق.
14- فضل الله، السيد محمد حسين، من وحي القرآن؛ بيروت، دار الملاك، 1419ق.
15- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار؛ بيروت، مؤسسة الوفاء، ط2، 1983م.
16- المدرسي، السيد محمد تقي، من هدى القرآن؛ بيروت، دار القارئ، ط2، 1429ق.
17- المراغي، احمدبن مصطفى، تفسير المراغي؛ بيروت، دار احياء التراث العربي، د ت.
18- مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل؛ قم، مدرسة الإمام عليبن ابي طالب(عليه السلام)، ط1، 1379ش.
19- النووي، يحيىبن شرف، المجموع شرح المهذب؛ تقديم: رائدبن صيبري، عمان، بيت الأفكار، 2005م.

Abstract

The Holy Quran presents to man a complete and comprehensive system for the individual's life, whether it is related to beliefs and morals, or to individual and cognitive behavior. This is done with the aim of recognizing the reality of human existence, which in turn leads to the difference in his path and behavior in life according to this understanding. Through it, his individual, social, psychological, and political path is determined in a manner that is consistent with that understanding. The topic gains its importance from this cognitive and path-oriented aspect, so the researcher chose the title: (Individual expansion through the verses of the Holy Quran (A study of the opinions of interpreters and scholars) for the importance of the topic in human life in general, and the study adopted the descriptive-analytical approach to achieve this goal. The researcher concluded that individual expansion in the Holy Quran includes various fields, including individual moral expansion, economic expansion, administrative, political, and social expansion to achieve divine succession on earth, and there are many terms that indicate individual expansion in the Holy Quran, including: knowledge, striving and work, purification, cooperation, and building the earth, management, etc.

Keywords: Individual expansion, Holy Quran, Economic expansion, Moral expansion, Earth building.